Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللطف هنا، عُوقِبَ آدم وحواء هناك، ورضي عن الآكلين من شجرة أبي يعزى؛ فالأفعى من جنود الشيخ المجندة ولذلك كانت من الرموز الأساسية لإقناع المنكرين والجاحدين ليسلموا بما يرون من كرامات الشيخ. هكذا تدرجت الكرامة من وجود الحدث فإنكاره فالتسليم به. وهكذا بقيت نواة الشر الجوهرية في الأفعى.

ب ـ سفر الوادي المقدس:

هذا البعد الرمزي التاريخي هو ما يجده القارىء في كرامة «الثعبان الرسول»، فهي تتحدث عن الوادي الذي يغسل فيه الشيخ وأتباعه ثيابهم (وذنوبهم). هذا الوادي ـ فيما نظن ـ ليس إلا تذكيراً بالوادي المقدس المشار إليه في التوراة والإنجيل والقرآن... والشيخ أبو يعزى ليس إلا محاكاة واعية وغير واعية لموسى. وحينما نذكر موسى تتبادر إلى الذهن معجزته الكبرى، وهي العصا التي كانت تنقلب حية أو كانت تتحول إلى عصا حينما يمسك بذنبها. ولنأت ببعض الآيات للاستدلال والتوضيح، يقول الرب لموسى: «لا تدن إلى هنا: اخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذي أنت فيه أرض مقدسة»[30]. فقال له الرب: ما تلك التي بيدك. قال عصا. قال ألقها على الأرض فألقاها على الأرض فصارت حية فهرب موسى من وجهها فقال الرب لموسى: مد يدك لذنبها فمد يده فأمسكها فصارت عصا في يده».

وعلى هذا يمكن عقد المشابهة بين أبي يعزى وبين موسى؛ فالرسول إلى أبي يعزى لما شرب من الوادي «المقدس» انقلب ثعباناً، ومع ذلك فقد: «لحس رجليه ودخل معه في ثيابه حتى أخرج رأسه من جيبه. فقال لأصحابه لا تخافوا: إنما هو رسول جاء يخبرني»[31]؛ أبو يعزى يتحكم في هذا الرسول الذي هو حية حيناً، وإذا ما داخله يصير إنساناً يتحدث بلغة الآدميين من البرابرة كما كان يفعل موسى مع عصاه. وكما كان لقاء موسى بفرعون فإن أبا يعزى التقى بالقائد وأتباعه، وبالخليفة وأتباعه. إذ تقول الكرامة: «فأقبل عليهم قبولاً حسناً تلقاهم بما جرت به عادته للوافدين عليه»[32]؛ غير أن أحد أتباع القائد كان في سلوكه شيء مشين فأرسله أبو يعزى إلى

(30) الكتاب المقدس، سفر الخروج، الفصل الثالث، ص 95، الآية: 5، ط. 1878.
انظر الآيات: 4,3,2. انظر: الألوسي: **روح المعاني**، (ج: 8، ص 98) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(31) العزفي، دعامة، ص 54.
(32) ما ذكر.